الفيصل .. في مجالسه

بقلم رئيس التحرير

الشهيد الملك فيصل كان من السهل أن تستوعب الكثير عنه ـ تكتب وتكتب فلا يكاد ينضب معينك ، وكان من الصعب أن تبرز ما استوعبت لأنه لا يريد الكلمة تقال عنه ـ لأنه العزوف عن ترديد الثناء ، ولكني اقتحمت هذه الصعوبة فيما كتبت في حياته ـ وحجتي في ذلك ـ أنه البطل يستاهل شعبه أن يكون على وعى يعرف به قيمة البطولة والعظمة فيه٠

فالبطولة يسرت له ولشعبه ولأمته ولكيانه الكبير ٠٠ ان يعظم في السنة الدنيا وأن يثق الشعب بالقيادة الحكيمة وأن تأمن الأمة ٠٠ تجده نصيرا لها لا يضن عليها بجاه أو مال ، وأن يصان كيانه الكبير بالموقف الثابت والاعداد والاستعداد ، يصون أمته، ويحفظ أمانته ٠٠ حتى لكان الكيان الكبير الصخرة التي تحطمت حول سياجه المذاهب الهدامة والأفكار المستوردة ٠٠ فقد قالها هو : أرجو ان تكون المملكة العربية السعودية الصخرة تتحطم على حدودها المذاهب الهدامة والافكار المدمرة والاعتداءات الشرسة ٠

ان الشهيد الملك فيصل ٠٠ كان الوداعة كاملة في استقباله ، والرقة في اقباله ٠٠ لكن الوداعة والرقة لم تاخذ من هيبته شيئا ٠٠ كساه الله الهيبة ٠٠ صنع بها كل القوة ٠٠ لا يتصنعها وانما صنعها الله له ٠

ان هيبته كانت سلاح السلام ، وصمام الأمن ۰ وعرفت الامير الملك اول ما رأيته في المدينة المنورة عائدا من رحلة المفاوضات يسرع بالنتيجة الى والده العظيم يتقدم اليه بما لديه ۰ وكانت المدينة قد شغلت باستقبال البطل ـ الملك عبد العزيز ۰۰ جاء اليها يتفقدها في زيارته الثانية ـ بعد القضاء على الفتنة ۰۰ كانت المدينة قد شغلت بالبطل ۰۰ فلم يحظ كثير من أهلها بلقاء الأمير ۰ ولكن صديقنا الوالد الشيخ عبد العزيز الخريج رحمه الله ۰۰ قد حدثنا طويلا عن مشاعر الامير ، وعن كثير من أعماله واخلاقه ، ۰۰ عرفت ذلك بالتلقي حين حرمت اللقاء ۰

وفي مكة وفي الطائف نراه في أعماله ۰۰ نرى الوقار واللمسة الرقيقة ، والتوجيه الحصيف ۰۰ أنه حاكم يمسك الزمام بيده ، ويعطي اللا مركزية للرجال الذين كانوا أهلا للثقة ، وكانوا اهلا لأن يعرفوا

قوة الهيبة له والهيمنة منه ٠٠ فلا تكاد تلمس شذوذا في عملهم ٠٠ فعلوا الكثير تحت قيادته بالقليل الذى استطاعوا التصرف به ٠

وكان اللقاء في مدينة الخرج ٠٠ جاء اليه في عـــام ١٣٦٢ هـ ـ فذهبت الى مجلسه ـ فاذا هو يتحدث بافاضة عن والده العظيـــم بكل الفخار والتعظيم ، ويتحدث عن أخيه الامير تركي بن عبد العزيز الابن البكر للبطل العظيم ـ حديث المحبة والاكبار ، وكان يســـمع الحديث الاميران صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهـد ، وصاحب السمو الملكي الامير مشعل بن عبد العزيز ٠

كانا يسالان ويجيـــب ٠٠
سالاه كانما هما يطلبان الشبيه لعبد العزيز ٠٠ فقال كلمته :

من كعبد العزيز ؟؟
عبد العزيز « مطزع الجن » ليس له شبيه فينا حتى يكون في غيرنا ٠
درس تلقيته منه ٠٠ تاريخ تعلمته عنه

★ ★ ★

ومضت ايام كان لزاما علي ان تصلني به الجريـــدة مادمت قـــد احترفت الكتابة ، وما دامت الجريدة في كثـــير من أحوالها في نطـــاق مسئولية مدير التحرير او رئيس التحرير ـ حتى اذا تشرفنا بالجلوس اليه ٠٠ تعلمنا الصمت ، وتعلمنا اكثر حين نراه يسمع ويسمع ٠٠ فما اقدره على طاقة السماع ٠٠ اذا أعجبه الجيد علق عليـــه بايجاز ، وان اسرف بعضنا بما لا يســـتجيد عف في اغضـــاء لا يحرج ٠٠

فكم من ملاحظة دقيقة ينبس بها في معاريض الكلام ٠٠ يحث بها من وجهت اليه ٠٠

فقد كنا نجلس بعد مغرب يوم ٠٠ فاذا به يقول : « النســبة الى

الكرة ٠٠ كروى ٠٠ لاكرى ـ كان يعنيني بها ٠٠ يعلمني الخطا ٠٠ فقبل يومين من هذا التوجيه كنت كتبت كلمة ٠٠ ذكرت فيها ان شيخ الاسلام بن تيمية ٠٠ في الرسالة العرشية ٠٠ قد نوه بكروية الكون فكتبت ٠٠ كرية بدل كرويه ٠٠ استعذبت الجرس فتجنبت الصواب ٠٠ فعرفت انه قارىء وناقد يتحرى الصواب ليعلمنا الصواب ٠

★ ★ ★

وذهبت الى الولايات المتحدة الامريكية في زيارة لها ونزلت في روما عامدا لا تشرف بلقائه ، وقد كان فيها ٠٠ في طريق عودته يتسلم زمام الامور في بداية الحرب اليمنية ٠٠ أوصلني الى جراند اوتيل الصديق الابن عبد العزيز بن ناصر العبد الله العقيل ٠٠ جلست اليه فاخذ يسالني عن البلد والناس ومشاعر الناس ٠٠ فقلت كلمة ٠٠ « كل بلدك انت رجاؤها اليوم ٠ »

وسردت أسبابا كثيرة لا داعي لشرحها ، ولم اكن فيما اخبرته قد زدته علما ٠٠ فاخوانه الرجال لم يدخروا وسعا في ابلاغه عن كل شيء ، فهو يريد ان يعرف ويعرف ٠٠ فدأبه ألا يتصرف بجهالة ٠

وعدت من الولايات المتحدة أسكن جدة ٠٠ حريصا على الا يفوتني مجلسا ٠

وفي ليلة من تلك الليالي وكنا جماعة من المثقفين على مائدة العشاء ٠٠ فطرح هذا السؤال : أنتم يا قراء القواميس ما هي الديمقراطية ؟؟

فتكلم واحد وثان وثالث ٠٠ كلهم يطرح التعريف الاكاديمي عنها الذى عرفوه من قراءاتهم لتعاريفها عن الغرب ٠٠ صاحب التعامل معها كشيء مثالي توصلوا اليه ويفخرون به وتكلمت اخيرا فقلت :

« ان الديمقراطية ما نحن فيه الآن ٠٠ انا وأمثالي وهذا اللفيف

كله على مائدتك ، وكلنا من افراد الشعب نجلس على مائدة العشاء ·· يفتح لنا الباب ·· ناكل معك ·· تتحدث الينا ونتحدث اليك ·· هي الديمقراطية ·· هذه هي تقاليد الاسلام ، وتعاليمه ، وهي تقاليد العروبة وسلوكها ·

ان الديمقراطية ·· كنظام لا يعرفها العرب وليسوا في حاجة اليها ·· فانهم بالاسلام وباخلاقهم ومزاياهم·· قد مارسوها·· تعلموها فعلموها ، وعاشوا دهرهم القوى في التعامل معها ·

فاى ديمقراطية تبلغ هذا السلوك الممتاز من المليك له اكثر من مجلس يرتاده الناس بمطالبهم وشكاواهم فلا يصد احد ·· يسمع من كل من يقف بين يديه ·

وهناك ميزة تميز بها··فلم يكن اذنا سماعة لوشاية اولشكاية من جانب واحد ·· كان يسمع فيتحرى ·

لا يصدق الوشاية من اول وهلة ·· لا يكسوها الصدق مهما كبر مصدرها ·· ولا يرميها بالكذب وان صغر مصدرها ·· التحرى والتحقيق هو جانب الصدق وطارد الكذب ·

كل هذا جعلني اضع كلمة الفاروق عمر بن الخطاب يصف بها كسرى العرب معاوية بن أبي سفيان ·· مفصلة على مقاس المليك ·· كانه هو وابن عمه معاوية على نسق واحد ·

قال عمر يصف معاوية :

« ذلك الذى يضحك عند الغضب ·· ولا يؤخذ الامر من فوق راسه الا اذا وضعه تحت قدميه » ·

★ ★ ★

وفي ليلة اقبلنا على المائدة ·· فجلس بجانبي رجل لم يتحمله كرسيه ·· فسمعنا صوت الكرسي كانه قد تكسر تحته ، وضحك اثنان بصوت مرتفع ·· فتغضن وجه المليك بغضبة رقيقة ··

علام تضحكون ؟؟

قالوا الكرسي ·· سمعنا صوته ·· فقال :

« أنا لم أسمع شيئا ·· »

ادب رقيق ·· ما كان ينبغي الا أن نكون جميعا في وضع المتادبين ، وقبلها ·· جلس وزير عربي من شرق السويس بينه وبين الملك صلة وثيقة وتعارف قديم ، وكان هذا الوزير قد جلس يضع رجلا على رجل قريبا من الملك ، ويلعب بالمسبحة ·· يفرقع لها صوت ··

وتكلم الملك ·· يسال عن فائدة العلم ·· بصيغة يشتم منها معنى الانكار ·· كانه يسحب الوزير سحبا ليتكلم · فقال هذا الوزير : انت يا مولاى تسال عن العلم وعن فوائده ومنافعه ·· فقال الملك : انت جعلتنى أسال · في مجلس تضع رجلا على رجل ، وتفرقع في المسبحة ·· فما استفدت من العلم ·· وسكت الرجل ولعله ذهب فلم اره بعدها !

لانه عرف ان زينة العلم في السلوك الزين ·
كان ذلك درسا تعلمه الوزير وتادبنا به ·

★ ★ ★

لقد تحمل في دعوته للتضامن الاسلامي كثيرا من الأقاويل ·· ولكنه كان الصخرة التي تحطمت عليها كل الأقاويل ·· فكل الذين قالوا المذمة اصبحوا السنة الثناء ·

ان العرب قوة بما أعطاهم الله ٠٠ ولكنها القوة التي لا يبرز تاثيرها الا بايمانها ٠٠ اسلامها ٠٠ الا بالجماعة المسلمة ٠٠ فان لم تكن قوة الجماعة المدد بالسلاح والرجال ٠٠ فانها هي القوة كل القوة ٠ بقلوبها يجمعها مسجد حين تسجد وتركع ٠٠ تهز الدنيا بالكلمة الناصرة الله أكبر ٠

لقد عرف الفيصل هذه القوة ٠٠ فلم ياخذ منها شيئا لذاته ٠٠ وانما كانت هبة لأمته العربية ٠ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

لقد لبسته روحانيته ٠٠ ما أكبر تواضعه حين يتحدث عن آماله ٠٠ كانما هو يرى هذه الآمال حقيقة واقعة هو مكلف بتحقيقها ٠٠ كان اذا تحدث عن الايمان تشع منه الفاظ شفافه ٠٠ تحدث عن رؤيا رؤيت له فقال : في ليلة قبل ثلاث سنوات على مائدة العشاء وكان على المائدة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز ٠٠ فاخذ الملك يتحدث عن هذه الرؤيا له قال وعلى وجهه نور :

لقد جاء أحد الرجال (من الجربا) يطلب مقابلتي فاذنت له فاخذ يحدثني فيقول : لقد من الله علي أن ارى رسول الله في العام مرة ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرايته قبل أيام في عامي هذا يقول لي عليه الصلاة والسلام :

(بشر الملك فيصل بالنصر ٠ واخبره ان يستعد ٠٠) ٠

سمعناه وهو يتحدث ـ تغمده الله برحمته ـ فدعونا له بالخير وسالنا انفسنا عن الاستعداد وكانت الاجابة في أيام العبور ثم في بقاء المعركة حينما أعلن سلاحه ٠٠ سلاح البترول ٠ قلت لجلالته بعد ذلك وبعد العبور :

لقد كنا نسال عن الاستعداد ، نستبعد أن يكون سلاحا يحمله الجنود فاذاانت تفاجيء الدنيا بسلاح تدفق من ارضك الطهر ـ سلاح البترول٠

وفيالليلة الثالثة والعشرين منشهر شعبان قبل رمضان العبور وقبل ان يزور جيشنا في تبوك رايت هذه الرؤيا فجفلت ان اقولها له ٠٠ ولكني صبح نهارها قلتها لأصدقائي اشهدهم على رؤيتها اليوم ٠٠

رايتني ادخل مكة في ظلة من ظلام ٠٠ فاذا انا بسواد من الناس يقف بينهم الشيخ عادل كردى ابن الشيخ ماجد كردى يتكلم بصوت منخفض فقلت له :

لا اريدك ٠٠ اريد اخاك طاهر كردى ٠٠ وقد عرفت عادلا واخوته ٠٠ الا طاهرا لم اعرفه وقد مات ٠٠ فخرج منظلة كانها قبة رجل ابيض طوال بلحية مرسلة بيضاء ٠٠ ناصعة البياض ٠٠ فهرولت نحوه اقبل صدره ، فلما رجعت الى الوراء اقبل رجل لا اعرفه ، لباسه لباس البادية ، يتشمغ بشماغ أزرق فاقبل علي يعانقني ويقبلني على صدرى وهو يجهش بالبكاء ٠٠ فنظرت اليه فاذا هو عبد الحكيم عامر ٠٠ فجفلت أتاخر فناداني الشيخ طاهر في موقفه المرهب والمطمئن في الوقت نفسه يقول لي : بشره بالنصر ٠٠ فان وراءه رجلكم رجالكم الملك فيصل ولم تمض أيام حتى كان هو رجل النصر ٠

ورؤيا اخرى اخبرته بها همسا بيني وبينه اخبرني بها السيد ياسين طه ، واخبرت بها الصديق : محمد عمر توفيق وزير المواصلات قال لي السيد ياسين طه :

آمنت بروحانية الملك فيصل ٠٠ واسمع السبب ٠٠

الفيصل
في
مجالسه

حدثتنى عجوز لا اسميها · قالت :

لقد رايت الملك فيصل واقفا بين المقام والحجر الاسود واخوانه واقفون بعيدا ينتظرونه ، فاقبل رسول الله ، صلىالله عليه وسلم ، ومعه ابو بكر وعمر ، فقال له الرسول : مرحبا بالأمين تقدم الى مقام ابراهيم

فقال فيصل :

هذا مقام الانبياء يا رسول الله ··

قال :

بارك الله عليك انت الأمين حارس الحرمين ···

واخبرني السيد ياسين طه ايضا عن هذه العجوز · واخبرت الشهيد عن ذلك همسا بيني وبينه ··

قالت العجوز :

لقد رايت فيصلا يقبل على المدينة فاذا رسول الله وابو بكر وعمر يقبل عليهم الشهيد يسلم بكل الأدب فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

مرحبا بخادم الحرمين ·

والغاتمة هى انتسال الله الرحمة له رحمة الشهداء وان يديم علينا نعمة التوفيق ·

محمد حسين زيدان